التنمية المستدامة من خلال القرآن الكريم والسُّنة وعلاقتها بالتاريخ

Sustainable development through the Holy Quran and Sunnah and itsrelationship to history

الباحثة

م. ابتسام رسول حسين

Ibtisam Rasul Hussain

كلية العلوم الاسلامية - جامعة بغداد

قسم العقيدة والفكر الاسلامي

رقم الهاتف

07735850423

الايميل

ibtessam.ali@cois.uobaghdad.edu.iq

ملخص البحث

خلاصة ما توصلنا اليه في هذا البحث هو تأكيد حضور مصدري التشريع الاسلامي والدراسات. التاريخية بعمق في اطار القضايا. الانسانية عموماً. فقد اشتملا على عدة شواهد. تتضمن. فكرة. التنمية المستدامة بصيغه ضمنيه وصريحه وان المتعمق فيها ساء يكتشف عدة افكار تتعلق بالفكر التنموي المستدام وما تناولنا يعتبر مقدمة مبسطه تلزم المؤسسات المعنية بقضايا التنمية لفت الانتباه والعناية في مجال الدراسات الإسلامية و التاريخية مبنية على أسس راسخة مشتمله على معطيات شامله تعزز عملية الفهم وتكرس الوعي في سبيل انجاز مشاريع تنهض بل المجتمعات.

الكلمات المفتاحية: التنمية، القرآن، السنة، التاريخ.

Research Summary

In summary, what we have reached in this research is the emphasis on the presence of the sources of Islamic legislation and studies. deeply historical under issues. humanity in general. They contain several evidences. Includes. an idea. Sustainable development in an implicit and explicit form, and that the in-depth explorer will discover several ideas related to sustainable development thinking. Completion of projects that promote societies.

Keywords: development, Quran, Sunnah, history

المـقـدمـــة

تكمن أهمية البحث وأهدافه في تسليط الضوء على مفهوم التنمية المستدامة وركائزه ومبادئه التطبيقية عبر مصدري التشريع الإسلامي والعلوم الإنسانية التاريخية، اذ ان التشريع الإسلامي يبين فكره التنمية المستدامة من القرآن والسُّنة، وكما ان العلوم الانسانية في عمومها تمنحنا ثراء فكرياً ومعرفياً يسبق بعد التوظيف في تناولها، وهذا في سياقها العام، لا لغاية سوى المعرفة، وهذا أمر حتمي في طلب أية معرفة بتصوري؛ وذلك لأن أسمى الغايات من التناول العلمي هي تحقيق المعرفة بها، والسعي نحو التكامل مع ما بدأه الإنسان، سواء كان ذلك التكامل بنائياً؛ أي بناء على من سبقه من معرفة، أم كان تكاملاً نقدياً، وهو ما يعني أن الباحث قد فكك ما سبق، وأعاد التشكيل، أو بدد الوهم.

وتشمل الدراسة مبحثين المقدمة والخاتمة:

المبحث الاول تكون من ثلاثة محاور:

- المحور الاول- مفهوم التنمية المستدامة.
- المحور الثاني- مفهوم التنمية المستدامة من خلال الرؤية الاسلامية.
- المحور الثالث- مفهوم التنمية المستدامة من خلال الرؤية التاريخية.

يتضمن المبحث الثاني:

- المحور الاول القرآن الكريم.
- المحور الثاني – السُّنة النبوية الشريفة.
- المحور الثالثة – توظيف التاريخ للتنمية المستدامة.

﴿ المبحــث الاول ﴾

المحور الاول- مفهوم التنمية المستدامة:

هي:" مجموعة من الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأهالي مع السلطات العامة، من أجل تحسين مستوى الحياة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات الوطنية والمحلية، وإخراج هذه المجتمعات من عزلتها لتشارك إيجاباً في الحياة القومية، ولتسهم في تقدم البلاد**(1)**,

من قراءتنا للتعريف يتضح لنا أن التنمية في حقيقتها تحسين وتطوير مختلف ظروف المعيشة سواء الاقتصادية أم الاجتماعية أم الثقافية للفرد والمجتمع. أما التنمية المستدامة فهي مصطلح مكون من لفظتين: الأولى التنمية، والثانية المستدامة والتنمية في اللغة مصدر من الفعل (نمى). يقال: أنميت الشيء ونقيته: جعلته نامياً، أما كلمة المستدامة فمأخوذة من استدامة الشيء، أي: طلب دوامه**(2)**، وقد عرفت التنمية المستدامة بأنها: "التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحاضر دون التضحية أو الإضرار بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجات"**(3)**. ان مفهوم التنمية المستدامة يختلف بحسب طبيعة الدول النامية والمتقدمة، فبالنسبة للدول النامية فإن التنمية المستدامة تعني توظيف الموارد من أجل رفع مستوى المعيشة للسكان الأكثر فقراً في الجنوب، وبالنسبة للدول المتقدمة: التنمية المستدامة تعني إجراء خفض عميق ومتواصل في استهلاك هذه الدول من الطاقة والموارد الطبيعية، وإجراء تحولات جذرية في الأنماط الحياتية السائدة، واقتناعها بتصدير نموذجها التنموي الصناعي عالمياً**(4)**، والمقصود بالتنمية المستدامة في هذه الدراسة هو تنمية عقلانية لمختلف النواحي والمجالات، المتعلقة بالإنسان لتحقيق التنمية بمختلف أنواعها (الاقتصادية،

والاجتماعية، والثقافية، والدينية... الخ من دون الإضرار بالأنظمة الحياتية والحفاظ على حقوق الأجيال المقبلة لتلبية حاجاتها الاقتصادية والحيوية والروحية.

المحور الثاني – مفهوم التنمية المستدامة من خلال الرؤية الاسلامية:

ان مفهوم التنمية المستدامة في الإسلام أكثر شمولاً، بل إنه أكثر إلزاماً من المفهوم المناظر الذي تم تبنيه في أجندة القرن الحادي والعشرين، فالنظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة توجب ألا تتم هذه التنمية بمعزل عن الضوابط الدينية والأخلاقية، لأن هذه الضوابط هي التي تحول دون أية تجاوزات تفقد التنمية المستدامة مبررات استمراريتها، وفي الوقت نفسه فإن النظرة الإسلامية الشاملة للتنمية المستدامة تعنى بالنواحي المادية، جنباً إلى جنب مع النواحي الروحية والخلقية، فلا تقتصر التنمية المستدامة على الأنشطة المرتبطة بالحياة الدنيا وحدها، وإنما تمتد إلى الحياة الآخرة، بنحو يضمن تحقيق التوافق بين الحياتين، ويجعل صلاح الأولى جسر عبور إلى النعيم في الحياة الأخروية التي هي الحيوان، أي **(5)** الحياة الحقيقية المستمرة بلا انقطاع وبلا منغصات، فإن مهمة التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي هي توفير متطلبات البشرية حالياً ومستقبلاً، سواء أكانت مادية أم روحية، بما في ذلك حق الإنسان في كل عصر ومصر في أن يكون له نصيب من التنمية الخلقية والثقافية والاجتماعية. وهذا بعد مهم تختلف فيه التنمية المستدامة في المنظور الإسلامي عن التنمية المستدامة في النظم والأفكار الأخرى؛ لأنه يعتمد على مبدأ التوازن والاعتدال في تحقيق متطلبات الجنس البشري بنحو يتفق مع طبيعة الخلقة الإلهية**(6)**. إذن فمفهوم التنمية المستدامة في الإسلام يزاوج بين المتطلبات المادية والروحية، وليس مقتصراً على المادة فقط، فالإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى استدامة مادية وروحية وثقافية واجتماعية.

المحور الثالث – مفهوم التنمية المستدامة من خلال الرؤية التاريخية:

ان فكرة التنمية المستدامة يجب ان تنطلق بصفتها مبدأً تطويرياً في جميع مجالات الحياة البشرية الصلفة حين نتناول العلاقة الرابطة بين التاريخ والتنمية، فإننا نؤصل لسياق منطقي لأية قضية إنسانية؛ فالمريض لا بد له من وصف تاريخي للمرض يسبق منحه العلاج من الطبيب المداوي، والباحث الاستراتيجي لا بد له من رصد التراكمات التاريخية التي تؤثر في سياق دراساته، لكي يقدمها بصورة منسجمة مع المعطيات التاريخية التي تكونت على وفق ممارسات معينة لشريحة مستهدفة. أن قرار تبني التنمية بأي مجال من المجالات ما كان ليكون لولا تراكم تاريخي رسخ الحاجة لتبني هذه القضية؛ وإن الحديث عن الرابطة التاريخية بأية مسألة بشرية هو أمر مسلم به للوهلة الأولى، ولكن يبقى السؤال ما هو شكل تلك الرابطة؟ وأزعم أن العديد خيل له أن الرابطة عبارة عن خطبة رنانة، أو خطاب سياسي بليد يسوق الأمجاد التاريخية، ليتجاوز به واقعه المرير، أو خواطر عاطفية يستدر بها قلوب الناس بنحو شبيه لجمع الهبات منه لتفعيل التنمية**!(7)** وهذا مدار الخطر، وأس الحذر أن نتعامل مع التاريخ بصفته أداة عاطفية، وليس مجالاً للتوجيه، والتقييم؛ فالغرض الرئيس من الدراسات التاريخية المرتبطة بمجالات أخرى منفصلة عنه هو حفظ، ورصد التجارب، وتوثيقها في سياقات المجال نفسه؛ أي إن التناول التاريخي في المجال الاقتصادي لحركة سوق الأسهم مثلاً، سوف تقدم بصورة رسومات بيانية، ومخططات للمقارنة، وهي مختلفة عن التناول التاريخي في المجال الطبي الذي سوف يرصد تطور مرض ما، وآثاره، وعلاجاته عبر دراسة عينات الداء، أو الدواء، وهلم جراً كل مجال بخصوصية يوظف المادة التاريخية لتقويم أمر منصرم، ولعقد إرشادات، وتوجيهات لأمر في المستقبل، والعلاقة التاريخية التنموية تأتي في هذا السياق**(8)**. وفي سياق الحديث عن توظيف التاريخ لخدمة قضية التنمية التي نحن بصددها، نجد أن هناك من يحذر من عدم جدوى مساقات

التاريخ في الجامعات دون ارتباطها في مشروع نهضوي**(9)**. واننا متفقون بأن ثمة علاقة أصيلة بين مشاريع النهضة، والبناء، والتي تأتي التنمية في سياقها الجوهري، وبين الدراسات التاريخية، وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي (رحمه الله) في شروطه للنهضة حين قال: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته، ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها**(10)**. ان نموذج القراءة التأصيلية لابن نبي لها انعكاس واضح في ذهنية الباحث في قضايا التنمية كما وتؤكد ضرورة دراسة المسائل الحضارية عبر التوظيف التاريخي، واجتناب الدراسة الوصفية السردية، والانتقال بها إلى دراسات أكثر عمقاً من زاوية التحليل، والتفسير؛ لم تكن تلك الدراسة إلا مدخلاً للتأكيد بأن التنمية المنشودة في أي مجتمع لن تقوم إلا على أصل حضاري راسخ، وفهم تاريخي عميق، والهدف من ترسيخ الأبعاد الحضارية، والتاريخية في المشاريع التنموية هو رصد محركات الشعوب، ومواطن التفاعل لديها، وإضافة تقويم حقيقي لتصور الواقع المراد تنميته، فنفهم من دراسة المجتمع تاريخياً كيف تمدد، وتكيف تطور، وكيف تغير، وهذا يمنحنا قاعدة صلبة نؤسس عليها مشاريع بناء الغد. ولو عدنا إلى عوامل قيام النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر، نجد أن قضية إحياء الدراسات القديمة كانت إحدى أبرز السمات التي ميزت تلك الحقبة من التاريخ، وذلك "بحثاً عن فلسفة بديلة لفلسفة العصور الوسطى، التي كانت لا تقدم الحل لمشاكل الإنسان البرجوازي"**(11)**.

المبحث الثاني– شواهد التنمية المستدامة من القران والسنة والتاريخ:

المحور الاول القرآن الكريم:

وسنورد بعض الآيات التي تناولت وتطرقت إلى فكرة ومفهوم التنمية المستدامة، على سبيل المثال لا الحصر، فمن أهمها:

- قوله تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الأعراف٣١، ففي هذه الآية أحل الله لعباده الأكل والشرب مما لم يحرمه ونهاهم عن الإسراف والتبذير، الأساس الذي يقوم عليه مفهوم التنمية المستدامة، أي الوسطية في الاستغلال والانتفاع بالثروات والموارد الطبيعية من دون إسراف أو تبذير، وهو ما يحفظ حقوق الأجيال القادمة بالانتفاع مما انتفع به من وهو قبله.
- قوله تعالى: {وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين} الأنعام ١٤١، والشيء نفسه في هذه الآية، فقد ورد النهي عن الإسراف والتبذير وهو أساس الفكر التنموي المستدام كما بينا آنفاً.
- قوله تعالى: {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً} الفرقان٦٧، لم يسرفوا ولم يقتروا بمعنى لم الوسطية في الإنفاق، ونلاحظ في هذه الآية أنه حتى في الإنفاق والذي هو بخلاف الاستهلاك أمر (عز وجل) بالوسطية، التي تضمن حقوق الفقراء والأغنياء
- قوله تعالى: {وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد

جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) الاعراف الآية ٨

- وقوله أيضاً: (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين) الأعراف٥٦

فكلتا الآيتين تناولتا موضوع الإفساد في الأرض، وجاء بصيغة النهي في قوله تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض"، وعدم الإفساد في الأرض هو الركيزة الأساسية للفكر التنموي المستدام، فالإفساد يضر بحقوق الأجيال الحاضرة والمقبلة، وهو من أكثر الأفعال المنهي عنها في القرآن الكريم والسّنة النبوية؛ لأن الإنسان هو خليفة الله في الأرض يجب عليه الحفاظ عليها وصونها بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم المتضمنة فكرة التنمية المستدامة فيه عبارة عن اوامر ونواهٍ بعدم الاسراف والتبذير وعدم الافساد والسعي للصلاح والحفاظ على الارض وعمارتها.

المحور الثاني– السنة النبوية الشريفة:

٢- من السنة: من الأحاديث النبوية المتضمنة فكرة التنمية المستدامة نذكر الأحاديث التالية على سبيل المثال لا الحصر:

- روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: "إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها**(12)** ففي الحديث النبوي الشريف دعوة من رسولنا الكريم (عليه أفضل الصلاة والسلام) إلى الغرس والزرع والتشجير، ولأهمية هذا العمل في الإسلام دعا الرسول (ﷺ) إلى القيام به حتى وإن قامت الساعة، والغرس والزرع والتشجير من أهم أعمال المحافظة على البيئة والمحيط الحيوي للإنسان والتي بدورها تسهم في تنمية الفكر التنموي المستدام لدى

عامة الناس.

- عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (ما مِنْ مُسلمٍ يَغْرِضْ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة)**(13)**.
- وعن خلاد بن السائب عن أبيه قال: قال رسول الله (ﷺ): (من زرع زرعاً فأكل منه الطير أو العافية كان له به صدقة في كلا الحديثين ترغيب في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعل ثواب ذلك أجراً عظيماً، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزروع هو صدقة ينميها الله (عز وجل) لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك ما تصيبه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات**(14)**.
- عن النعمان بن بشير (رضي الله عنهما): عن النبي (ﷺ) قال: مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نُؤْذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً.(١٥) فنلمس مفهوم التنمية المستدامة من هذا الحديث فيما يسمى بوحدة المصير المشترك، فمن أهم أهداف الفكر التنموي المستدام الحفاظ على المحيط الحيوي للبشرية حاضراً ومستقبلاً، ولا يتأتى ذلك إلا بالتحام الجهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح في الأرض وعدم الإفساد.
- قوله (ﷺ): "لا تسرف ولو كنت على نهر جار**(16)**. في هذا الحديث محاربة ضمنية للإسراف والتبذير والقيم والعادات الاستهلاكية السيئة، ودعوة إلى الوسطية وإرساء القيم الرشيدة في الاستغلال والانتفاع بموارد الأرض بالقدر الذي يحفظ حياة الأجيال الحاضرة والمقبلة.
- قوله (ﷺ): "لا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا شيخاً ولا تحرقوا نخلاً ولا زرعاً". هي عن الإفساد في الأرض سواء فيما يتعلق بالإنسان كالقتل والظلم أم فيما يتعلق بالثروات

بالحرق والتخريب، فهي دعوة للحفاظ على النوع البشري وعلى ما يحفظ صيرورة حياته سواء في الحاضر أو المستقل، وهي مبادئ ومرتكزات مهمة لإرساء فكرة التنمية المستدامة.

- قال رسول الله (ﷺ): (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته**(17)**: علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، تلحقه من بعد موت فحفر الأنهار والقنوات من مستلزمات الزراعة حثت السنة النبوية على ذلك، وجعلت شق الأنهار من الأعمال التي يلحق ثوابها المؤمن بعد موته، وإذا عجز المرء عن زراعة أرضه لأي سبب كان لعذر جسماني أو مادي مثلاً فإن عليه ألا يترك الأرض لتبور، بل عليه أن يعطيها للقادر على زراعتها.
- فعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)**(18)**. وفي مجال الاهتمام بالإنسان الذي هو أساس برامج التنمية المستدامة، وهو غايتها، والقائم بها، أعلت السّنة النبوية قيمة الإنسان واهتمت به وبتنمية قدراته، بوصفه أهم عنصر من عناصر البيئة، بل إن البيئة نفسها مسخرة لخدمته، وهو خليفة الله في الأرض من دون غيره من سائر المخلوقات**(19).**

المحور الثالث– توظيف التاريخ للتنمية المستدامة:

قبيل التأسيس لهذه العلاقة وتطبيقها، يرد علينا تساؤل: عن أي تاريخ نتحدث؟ وما هو موضوع التاريخ الذي يرتبط بقضيتنا؟ وللإجابة نعود قليلاً لتأكيد عامل مهم في مجال الدراسات التاريخية درج الباحثون على تأكيده، وهو عامل الاعتبار، أو الاقتداء، ومن هنا قال ابن خلدون: "اعلم أن فن التأريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو

يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياساتهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يروهم في أحوال الدين والدنيا.**(20)**

ومن أبرز العوامل التي يجب تأكيدها قبيل الإجابة هو التأكيد أن دراسة التاريخ تهدف لاستخلاص القوانين، والعبر**(21)** حديثنا عن التاريخ الذي يمنحنا البديل عن الواقع المغلق، ألم يكن هذا سبيل الأوروبيين في عصر نهضتهم؟ كانت أمجاد اليونان والرومان مخرجاً لمأزقهم الحضاري الذي رزحوا تحت وطأته في عصور الظلام الوسطى، ومن هنا نفهم أن ما يرتبط في قضيتنا هو الذي يتحقق به غرض الاقتداء الذي عبر عنه ابن خلدون، أو ذلك الذي يؤصل لنا العبر، ويقنن لنا القوانين الضابطة لمجرى التاريخ، وحوادثه، وهو إذ ذاك المادة الأصيلة التي نوظفها في علاجنا للجدل الكامن في العلاقة ما بين التاريخ، والتنمية، وفي مثل هذه الأهداف الأممية، نجد أن مسألة الفقر التي تنال حظاً وافراً من المناقشات تعكس لنا العديد من القوانين عبر دراستها في سياق تاريخي، وأبسطها أن البيئات التي تعاني الفقر تخضع عادةً لعدة مشكلات، فعلى صعيد النظم تجدها عادة نظم منغلقة، ولا تتمتع بالشفافية، وليست خاضعة لنظم رقابية صارمة، ناهيك أنها نظم تعتمد أساليب بيروقراطية معقدة، ومنهكة، ولو تابعنا إشكالية الفقر على صعيد المجتمعات، نجدها تنمو في المجتمعات الأقل تعليماً، وكذلك المجتمعات المضطهدة، أو التي مورس بحقها التمييز، والعنصرية، ودواليك من الاستنتاجات التي تقودنا نحو خيارات علاجية على أصعدة مختلفة، سواء كانت أنظمة، أو مجتمعات.

ولا يجب أن يفهم أن التاريخ كلما قدم كلما زادت فائدة الاقتداء به، ولا يجب أن يفهم أن من اللازم مرور قرون حتى تحصل العبرة، أو يتكون القانون المفسر لهذه الحالة التاريخية التي نشأت بمقتضاه؛ فالتجربة الإنسانية بكل ميراثها هي كتاب مفتوح على مصراعيه في حال حديثنا عن أهداف التنمية المستدامة الأممية، فهي مشروع حضاري إنساني لم يسبق له مثيل

في الأمم الخالية، وهنا عنصر قوة يعيننا في فهم السياق الذي يجب أن نقرأ به مع مراعاة الخصوصيات التي تميز بين كل مجتمع أو بيئة أو إقليم؛ فالتجارب البشرية كافة متاحة، ولكن على أي أساس نحدد المتوافق من المتنافر مع الحقل الذي يجب أن نطبق عليه الأهداف التنموية؟**(22)** كحصيلة عامة عن القراءة العلمية للمادة التاريخية الموظفة في القضية المطروقة، نجد أن أبرز المحددات التي تحدد أسس العلاقة ترتبط بمجموعة من القيم البحثية للدارس، والقيم البحثية التي يجب أن يتميز بها الباحث تقوم ابتداءً بتحديد منهجه، وسلوكه البحثي، وأعني بوضوح أن الباحث الذي يعتمد على بحثه بالجمع لن ينال مراده، ولن يحقق غاية تذكر سوى الحصيلة الجمعية التي بين أيدينا؛ فالجامع للتاريخ لا يدرسه، وإن وظفه، أو فسره تجده لا يقدم ذلك في بناء علمي متناسق، بالقدر الذي نجد فيه استخدام السلوك الانتقائي الفج، ولذلك أجد أن أبرز القيم التي يجب أن يتمتع بها الباحث في مثل قضية التنمية أن يجيد عملية الانتقاء المدروس؛ وذلك ليزاول عملية القياس، والمقارنة السليمة، ويجنب دراسته القياسات الباطلة التي نجدها مليئة بالأعمال التاريخية المنتشرة، فمن النماذج التي يسعى بعض الباحثين لتطبيقها على المحيط العربي مثلاً هي الدعوة لتفكيك الوحدة الأسرية، والتركيز على الذات الفردية، بزعم أن هذا الخيار كان هو سبيل لمجاراة الخيار الغربي في عملية التنمية.**(23)** وهو القياس الباطل، أو الانتقاء غير المدروس، وذلك لأن هؤلاء لم يراعوا الخصوصيات البيئية، والتكوينات المجتمعية، والفروق بين الإنسان العربي، والإنسان الغربي. فالبيئة الأسرية "تهب الفرد العربي القوة للتأقلم مع التغيرات الاقتصادية والسياسية السريعة دون أن يفقد مع ذلك ملاذه الأمين وسنده الموثوق المتمثل بالجماعات الأولية الشخصية.**(24)** هذا المثال يقدم لنا صورة لأبجديات الدراسات التاريخية، وهي قائمة على فهم المجتمع الذي يراد دراسته، ومن منظور تنموي يراد تطويره، فالقفز على السلوكيات المتجذرة بهدف تحطيمها ظناً منا أنه الخيار الأوحد نحو تحقيق الغاية المنشودة هو فهم مغلوط لما يجب أن يكون، ولكن الأصوب هو دراسة ذلك المجتمع، وقراءة تاريخه

بصورة تؤهلنا لتقديم الفرضيات المنطقية التي نريد، فلا يصح انتقاؤنا دون دراسة تؤصل لسبب تحديدنا للمسألة التي نقدمها. وبمنظور آخر لأسس تلك العلاقة بين التاريخ والتنمية، وهو منظور القراءة التكاملية، وهي قيمة رئيسة لأي باحث يسعى في تناول قضية معاصرة ذات امتداد تاريخي، فلا يصح له أن يقرأ قضية تاريخية منعزلة عن عناصر التأثير فيها، وعليها، ويلزمه الإحاطة بالتفاصيل المتوفرة لديه لكي يسدد رأيه، ويعزز سلامة مقرراته.**(25)** إن التوظيف المنشود يقوم على أسس معينة وفي حال تم التوظيف العشوائي للتاريخ لغاية ما، فلن نجني منفعة حقيقية من تلك العملية التي سوف تكون مصطنعة، وشكلية لا أكثر، وأدل عشوائية في استخدام التاريخ هو الطرح المتحيز لقضاياه، ومواضيعه، فلا طائل حقيقياً من التحيز سوى التحفيز النفسي**(26)**، والاستدرار العاطفي، وتكريس قناعات مسبقة بناءً على قضايا تاريخية، ومن صور العشوائية في الاستخدام الطرح الانتقائي، الذي يهدف لتبرير واقع أو سلوك في إطار سياق تاريخي لا أكثر**(27)**، فلا يعد للتاريخ هنا قيمة تذكر سواء استحضر، أم استحقر!. وفي سياق الحديث عن توظيف التاريخ لخدمة قضية التنمية التي نحن بصددها، نجد أن هناك من يحذر من عدم جدوى مساقات التاريخ في الجامعات من دون ارتباطها في مشروع نهضوي. ولعل هذه التحذيرات مغلفة بغلاف المبالغة، ولكننا متفقون بأن ثمة علاقة أصيلة بين مشاريع النهضة، والبناء، والتي تأتي التنمية في سياقها الجوهري، وبين الدراسات التاريخية، وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي (رحمه الله) في شروطه للنهضة حين قال: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته، ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمه**(28)** بأن التنمية المنشودة في أي مجتمع لن تقوم إلا على أصل حضاري راسخ، وفهم تاريخي عميق، والهدف من ترسيخ الأبعاد الحضارية، والتاريخية في المشاريع التنموية هو رصد محركات الشعوب، ومواطن التفاعل لديها، وإضافة تقويم حقيقي لتصور الواقع المراد تنميته**(29)**،

فنفهم من دراسة المجتمع تاريخياً كيف تمدد، وتكيف تطور، وكيف تغير، وهذا يمنحنا قاعدة صلبة نؤسس عليها مشاريع بناء الغد. ولو عدنا إلى عوامل قيام النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر، نجد أن قضية إحياء الدراسات القديمة كانت إحدى أبرز السمات التي ميزت تلك الحقبة من التاريخ، وذلك "بحثاً عن فلسفة بديلة لفلسفة العصور الوسطى**(30)**، التي كانت لا تقدم الحل لمشاكل الإنسان البرجوازي وهو ما يقعد لقاعدة أن مخرج أي تغيير ناشئ ينتج في العودة للجذور، وإعادة دراستها، والمصطلح الذي درج عليه دارسي عصر النهضة تسمية هذه العملية بـ(الإحياء)، وهي عملية يفهمها القارئ بمعنى مختلف عن الاستنساخ، والتكرار، ولكنها تشير إلى بعث جديد يتواءم مع معطيات البيئة الجديدة التي بعث فيها، ودلالة ذلك أن عملية الإحياء تلك حين استهدفت تراث الرومان.**(31)** واليونان لم تسع لاستنساخه، بل سعت لإيجاد بديل عبره، لعلاج أزمة العصور الوسطى التي انحدرت بأوروبا لدركات سفلية متدنية جداً في الركب الحضاري ومشروع الإحياء أو عصر النهضة، أسهم بصورة فعالة جداً من تأسيس الواقع المنهجي الذي عبره انطلقت أوروبا، ولا يعنينا الحديث هنا عن كون التاريخ حركة أم مسيرة، بقدر ما يعنينا تأكيد العلاقة المتأصلة ما بين التاريخ والتغيير، وهي علاقة تفسر لنا طبيعة العلاقة التي نتناولها بين التاريخ والتنمية، والوعي الإنساني بذاته أحد أهم المحاور التي تؤثر في شكل التغيير المنشود، ولسنا نرى من تجارب الشعوب المختلفة أن ثمة تغييراً حدث، وبدأت آثاره تلامس الواقع من دون أن يكون هناك وعي مصاحب لهذه العملية؛ فالتجربة التي نسعى عبرها لإثبات أصالة العلاقة بين التاريخ، ومشاريع التنمية يجب أن تقترن معها جهود حثيثة تكرس وعي الإنسان بضرورة التنمية في سياق تناول معطيات تاريخية تؤكد هذه الحتمية الراسخة.**(32)**

الخاتمة

خلاصة ما توصلنا اليه في هذا البحث هو تأكيد حضور مصدري التشريع الاسلامي والدراسات. التاريخية بعمق في اطار القضايا الانسانية عموماً. فقد اشتمل على عدة شواهد تتضمن فكرة التنمية المستدامة بصيغة ضمنية وصريحة، وان المتعمق فيها يكتشف عدة افكار تتعلق بالفكر التنموي المستدام وما تناولناه يعده مقدمة مبسطة تلزم المؤسسات المعنية بقضايا التنمية لفت الانتباه والعناية في مجال الدراسات الإسلامية والتاريخية مبنية على أسس راسخة مشتملة على معطيات شاملة تعزز عملية الفهم وتكرس الوعي في سبيل انجاز مشاريع تنهض بالمجتمعات.

الهوامش

١. مسعود، شيهوب: أسس الإدارة المحلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٦،
٢. ٢-الفقهي محمد عبد القادر: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث
٣. -الغامدي عبد الله الجمعان: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة،٢٠٠٧، ص١٠
٤. زلماط حياة إشكالية التنمية المستدامة في العالم، المركز المغربي للدراسات الاستراتيجية.
٥. المرجع نفسه ص ٧٠
٦. حباسي شاوش، كتاب قيمة المعرفة التاريخية وسبيل توظيفها في التنمية، مجلة الحكمة
٧. مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع، الجزائر.٢٠٠٩ ص ١٠٠
٨. ابن نبي، مالك، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، ١٩٨٦ ص١٩
٩. حباسي قيمة المعرفة المصدر السابق ص ١٠٠
١٠. الشربيني احمد أوربا من النهضة الى الثورة، دار الثقافة العربية مصر٢٠٠٣ ص٣٢.
١١. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨)، المقدمة شرح وتقديم محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي بيروت، ٢٠٠٤ ص ١٦.
١٢. سورة الأعراف الآية ٣١
١٣. سورة الأنعام الاية١٤١
١٤. سورة الفرقان الآية ٦٧
١٥. سورة الرحمن الآية ٧
١٦. سورة الأعراف الآية ٨٥
١٧. سورة الأعراف الآية ٥٦
١٨. البخاري في الادب المفرد
١٩. رواه احمد والطبراني واستاذ احمد حسن
٢٠. - محمد عبد القادر الفقهي مرجع سابق ص ٩ اخرجة البخاري في صحيحة.
٢١. - ابن ماجه
٢٢. - محمد عبد القادر الفقهي مرجع سابق ص١١

٢٣. المرجع نفسه ص ١٦
٢٤. رواه الترمذي
٢٥. صحيح البخاري
٢٦. ابن خلدون عبد الرحمن المصدر السابق ص١٧ ص١٨
٢٧. العروي عبد الله مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي ص٣٩
٢٨. - خيري مجد الدين اشكالية التنمية والتحديث في العالم العربي المجلة الثقافية الأردنية، ١٩٨٥، ص١١٥
٢٩. - خيري المرجع نفسه ص١١٦
٣٠. ابن خلدون المصدر السابق ص٢٠
٣١. ابن نبي مالك شروط النهضه. ص٢٥
٣٢. الكثيري الخصوصية. الحضارية المرجع السابق ص٧
٣٣. الكثيري المصدر نفسه ص٣٣
٣٤. الكثيري الخصوصية الحضارية ص ٣٤
٣٥. خيري اشكالية التنمية المرجع السابق ص١١٧
٣٦. ابن خلدون المقدمة المصدر السابق ص٢٠
٣٧. - ابن نبي مالك شروط النهضة المصدر السابق ص٢٣
٣٨. - احباسي قيمة المعرفة المرجع السابق ص ١٠٢

المصادر:

١-القرآن الكريم.

٢- الأحاديث النبوية الشريفة

٣-ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨، المقدمة شرح وتقديم محمد الاسكندراني

دار الكتاب العربية بيروت ٢٠٠٤

٤-ابن نبي، مالك، شروط، النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ١٩٨٦

المراجع:

١-مسعود، شيهوب: أسس الإدارة المحلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ١٩٨٦

٢- الفقهي محمد عبد القادر: ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية.

٣-الغامدي عبد الله الجمعان: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة ٢٠٠٧ص١٠

٤- زلماط حياة إشكالية التنمية المستدامة في العالم المركز المغربي للدراسات الاستراتيجية.

ه- الشربيني احمد أوربا من النهضة الى الثورة، دار الثقافة العربية مصر ٢٠٠٣ - العروي عبد الله مفهوم التاريخ المركز الثقافي العربي.

٦- خيري مجد الدين اشكالية التنمية والتحديث في العالم العربي المجلة الثقافي.

٧- حباسي شاوش كتاب قيمة المعرفة التاريخية وسبيل توظيفها في التنمية، مجلة الحكمة مؤسسة كنوز للنشر والتوزيع الجزائر. ٢٠٠٩